استكشاف عالم بكامله من خلال تلك الشريحة من الشباب المصري الذي يعيش في ظل احزان النكسة وتمزقه حيث يعيش هذا الشاب الفلسطيني أيضا فيه يمزقه واقعين واقع قضية شعبه المشرد والواقع الجديد لشعب ذاق بدرجة ما ذاق شعبه .. ويجد الشاب الفلسطيني نفسه في النهاية تاركا هذا الواقع الى واقعه الحقيقي حيث يرسل بعد رحيله الى القدس خطابا الى (بكر) يقول فيه « انني وجدت الاسلوب الذي استطيع به ان اعبر عن نفسي وعن قضيتي خصوصا بعد ان اصبحت للمرة الثانية بلا وطن . اننا لا نملك الا أن نخوض هذه الحرب فلم يبق لدينا ما نخشى ان نفقده ».

ونحن هنا امام مخرج اختار بشكل واع ومقصود ان يخرج الواقع المصري بعد النكسة في تلك المجموعة من الشباب المزق ممثلا في (محمود ، ومصطفى ، وبكر) . الواقع الفلسطيني المعاصر من خلال شخصية (عمر) الفلسطيني الذي يدرس الفنون معهم في القاهرة .. (ومهم هنا ان نعلم ان هذه الشخصية لم تكن موجودة اصلا في قصة محمود دياب الاصلية) وتلك هي الزاوية المختلفة عن (رجال تحت الشمس) ، و (المخدوعون) .. فبينما كان كمال الفيلمين في انهما قدما القضية الفلسطينية دون جزع بينها وبين شيء اخر من الخارج وبشكل مباشر . فان غالب شعث قد قام بعملية المزج هذه من اجل رؤيا اكثر شمولا .. لحقيقة النضال العربي ضد اسرائيل .. ولكن بشكل غير مباشر اي ان يدور لها من الخلف .. ومن هنا ايضا تتضح بعد الفكرة التي نسج عليها غالب شعث بناؤه الدرامي الذي يقدم من خلاله وجهات النظر المختلفة لكل شخصية في الاخرى بينما تبقى شخصية (عمر) الفلسطيني خارج اطار اللعبة معلقة لا رأى لها فيما يجري حيث نجدها فجأة تمارس دورها الحقيقي وسط اهلها .. لان الامر لم يعد يحتمل ان يكون الانسان بلا وطن مرتين .. حيث تتعالى على الواقع الذي عاشت فيه اخيرا تاركا اياه الى غير رجعة لتمزقاته .. التي ولدتها النكسة وراحت تأكله وتأكل شبابه .. هكذا كانت ايضا تلك الرؤيا المتقدمة للمخرج الفلسطيني (غالب شعث) .. عن واقع قضيته في أول افلامه الروائية الطويلة .. بعد أول فيلم روائي قصير اخرجه بالنمسا قبل مجيئه الى القاهرة حيث عمل بالتلفزيون كمخرج (فيديو) .. وحيث كون مع سمير فريد ، ورأفت المهي ، ومحمد راضي ، وفتحي فرج ، أول جمعية سينمائية شابة جادة في مصر هدفها انتاج سينما جادة متقدمة ملتزمة .

على ان الاهتمام بفيلم الظلال يصاحبه اهتمام المخرج ليس لقيمة العمل الفنية والفكرية التي قدمها للسينما المصرية وانما الى هويته الفلسطينية ... وكما قلنا من قبل فان احد عوامل عجز الشعب الفلسطيني عن التعبير عن مأساته قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ وحتى ولوج هذا المخرج كان متمثلا في عدم وجود سينما فلسطينية داخل الارض المحتلة .. كان يمكن لها أن تعي الكثيرين قضاياها برغم الاسباب الموضوعية وراء ذلك .. وهكذا فقد كان ظهور هذا المخرج الشاب بمستواه السينمائي المتقدم هذا لهو ايذان ببدء تاريخ جديد للسينما الفلسطينية يقوم بها شبابها واصحابها باعتبار المخرج هو الاول ومن خلفه يتذلل كل شيء .

مستقبل السينما الجادة بالنسبة لقضية فلسطين وغيرها في مصر وسوريا

ربما يكون من الاوفق لنا ونحن نتعرض (لفلسطين) على الشاشة العربية ان نتوقف لحظة امام مستقبل السينما الجادة حول هذه القضية وغيرها .. لان التوقف هنا واجب قومي ليس من اجل فلسطين فقط على الشاشة العربية بعد صراع مرير من اجل تدشينها وانما من اجل مستقبل السينما العربية عامة لانه بهذه الصورة